المسيا . بعد الجليد

الى رفيق معلوف

(في هذه القصيدة التي تعبر عن معاناة الموت والبعث ، بما هي ازمة ذات وحضارة وظاهرة كونية ، يفيد الشاعر من اسطورة الاله تموز وما ترمز اليه من غلبة الحياة والخصب على الموت والجفاف ، ويفيد كذلك من اسطورة العنقاء التي تموت ثم يلتهب رمادها فتعود الى الحياة ثانية .)

عصر الجليد

عندما ماتت عروق الأرض في عصر
[الجليد
مات فينا كل عرق ،
يبست اعضاؤنا لحماً قديدْ ،
عبثاً كنا نصدُّ الريح عنّا ،
ونداري رعشة الموت الأكيدْ
في خلايا العظم ، في سرّ الخلايا ،
في لهاث الشمس ، في الخمر الجديد ،
في صرير الباب ،
في ما ترشح الجدرانُ من ماء الصديد
رعشةُ الموت الأكيد.

* * *

« يا إلاّه الخصب يا بعلاً
يفضّ التربة العاقرَ ،
يا شمسَ الحصيدْ ،
يا إلهاً ينفض القبر ،
ويا فصحاً مجيد ،
انت يا تموز يا شمس الحصيد ،
نجّنا .
نجّ عروقَ الأرض من عقم مبيد
ادفئ الموتي الحزاني
والجلاميدَ العبيد
عبر صحراء الجليد ،
انت يا تموزُ يا شمسَ الحصيدْ »
عبثاً كنا نصلي ونصلي ونعيد
عبثاً نعوي ونعوي عبر صحراء الجليد
نحن والذئب الطريد

* * *

عبثاً كنا نهزُّ الموت ، نبكي ، نتحدى :
« حبنا اقوى من الموت العنيد »
وارتمينا جثثاً ، لحماً قديداً
ضم في حسرته لحماً قديد
عبثاً نغتصب الشهوةَ حرى
من بقايا في الوريد
علّه يُنرخ من انقاضنا نسلٌ جديد
ينفض الموت ، يغلُّ الريح ،
يدوي نبضة حرّى بصحراء الجليد ..
« حبنا اقوى من الموت العنيد »
غيرَ ان الحب لم يُنبت من اللحم القديد
غير قطعان من الموتى الحزاني
غيرَ اجيال من الموتى العبيد
تتمطى في فم الموت البليد .

* * *

بعد الجليد

كيف ظلت شهوةُ الأرض
تدّوي تحت اطباق الجليد ؟
شهوةٌ للشمس ، للغيث المغنّي ،
للبذار الحيّ ، للخصب العتيد ،
للاله البعل ، تموز الحصيد ،
شهوة خضراء تأبى ان تبيد
وحنين نبضه يسري الى القبر ، الينا
يا حنين الأرض لا تقسُ علينا
لا تحرّ الدم في الاموات ، فينا ،
موجعٌ نبضُ الدم المحرور في اللحم القديد
في عروق بعضها حمى ربيع وجحيم يبتلينا ،
بعضها صمت ثقيل وجليد .. !

* * *

إن يكن ، رباه لا يحيي عروقَ الميتينا
غيرُ نار تلد العنقاءَ ،
نارٍ تتغذى من رماد الموت فينا
فلنعانِ من جحيم النار
ما يمنحنا البعثَ اليقينا :
أ أ تنفض عنها عفنَ التاريخ ،
واللعنة ، والغيبَ الحزينا ،
تنفض الامس المهينا ،
ثم تحيا حرة خضراء في الفجر الجديد
تتغنى وتصلي وتعيد
من ضفاف « الكنج » « للاردن »
[« للنيل »
تصلي وتعيد :
يا اله الخصب ، يا تموز ، يا شمس الحصيد
بارك الأرض التي تعطي رجالاً
اقوياء الصلب ، نسلاً لا يبيد ،
يرثون الأرضَ للدهر الأبيد ،
بارك النسل العتيد
بارك النسل العتيد
بارك النسل العتيد
يا إلاّه الخصب ، يا تموز ، يا شمس
[الحصيد

كيمبردج – انكلترا

خليل حاوي